هذا واني ان عدتم للبحث في الموضوع كما كنا عدت والا ان كان مجرد الحديث قول بغير عمل واحتجاج بغير حجة وكلام بغير برهان فارجو عدم مؤاخذتي ان حجبت القلم وقلت هذا اول القول وآخره والسلام

مصري مسلم

﴿ من شاعر الى شاعر ﴾

او من نقولا رزق الله الى احمد محرم

أعرت لساني هذا القلم ... يترجم عما بقلبي ألم
ويحمل عني سلاماً الى ... كريم دعوت فقال نعم
على صفحات الانيس الذي ... يحاكي بحمل سلامي النسم
الى شاعر شاردات المعاني ... اساري لالفاظه او خدم
تجوب قصائده العامرات ... سهول البلاد وتطوي الاكم
صدور الرواة مطايا لها ... ولو انصفت لامتطت كل فم
قرأت قصيدته شاكراً ... تدفق آياتها بالحكم
تبرّع فيها بمدح علي ... يدل على فضله والكرم
فقلت وقد هام قلبي بها ... لمن حاول النظم او من نظم
اذا اسهرتك القوافي فقم ... ونبه لها احمداً ثم نم

المرأة والحياة

﴿ لحضرة الكاتب الفاضل صاحب توقيع « فؤاد » ﴾

وهي تابعة لاقواله الماضية في هذا البحث

قال الحكماء ان الزواج نهاية ما يسعى اليه الشاب حين يراهق والشابة حين تبلغ الرشد . وفي ذلك من الاقوال المأثورة ما يظهر شغف الاثنين بقرب ليلة الزفاف . فترى الشاب وهو في العشرين مثلاً لا يفكر في خلواته وسكناته الا في الحصول على شريكة له توأنسه في وحدته وتؤاسيه في اكداره وتساعده على اهوال حياته الشاقة وتصون ثروته من التبديد فيما لا يفيد وربما تكون عنده فكرة اخرى هي الحصول على النسل والذرية حتى لا تضيع امواله للغير بعد مماته

ولا ريب ان المرأة هي صندوق محكم للرجل يستودعها سراً ربما لا يجسر على افشائه لابيه او امه او اخيه او اخته او لذي قرابته وهو الذي يهتم بامور المرأة فيشتغل شغل الجان والابالسة في الحيلة على العيش وهو في اشد الكروب اما من تعب الجسم في الحر والبرد ان كان فقيراً او احتمال كلمة لا تقبلها نفسه او من كبريائه وانفته عن تعب الفكر ولو بضع ساعات في اليوم ان كان من سلاطين الذهب

فالرجل ما برح من وجهة المعاش قلق الافكار كثير الهواجس لا يفارقه الفكر ولا الهم لحظة وكان قبل الزواج لا يشغل فكره بامر غير امر نفسه الا قليلاً

ولكن الهم كل الهم اذا ما تزوج وكان لامرأته في قلبه شيء من المحبة فهو لا يبرح قلقاً حزيناً يخاف ان يموت فتتزوج هي بغيره او تموت هي فلا يقوى على فرقتها وعلى كل حال فقد دخل الرجل بزواجه في عمر جديد وحياة جديدة على خلاف ما كان يعهد في نفسه قبل الزواج

ولقد يظن طالب الاقتران ان ذلك امر سهل الحصول قليل التعب وان اللازم لذلك اعداد المهر وارسال من تخطب حتى يأتي القاضي ويحرر العقد ويتم الزفاف كل ذلك في اربع كلمات . ولهذا نرى شبابنا في كل الارياف لا يبحثون في اي موضوع كان غير ذلك ويكتفون بما قدمنا للحصول على الزوجة

ولقد تساعدهم الاحوال الزمنية جداً لدرجة لا توقف فيها مطلقاً فان النساء لا يسترن وجوههن فيتسنى بذلك للرجل رؤية المرأة بنفسه كما ان حالة البساطة العمومية في الارياف تجعلهم لا يطمعون في المهر بل كل ما حصل يكفي للنفقات المعلومة وتقريباً الكل من درجة واحدة في الثروة والعمل وربما يزفون ابنة تسع لابن عشر ولا يخجلون ونائب الشرع لا يعارض في ذلك

هذه حالة اهالي الارياف في الزواج وهم الجزء الاعظم من جسم الامة المصرية فاما اغنياؤهم فهؤلاء هم المصيبة العظمى على البنت فقط وذلك ان الرجل منهم ما دام يعرف في نفسه انه عمدة كذا او شيخ بلدة كذا فهو لا يكاد يصدق ان غيره من بني الانسان وانما هو السلطان وابن السلطان والكل خدم له وغلمان فلا يرضى لخطبة ابنته برجل اقل منه ثروة او رفعة او شرفا وطالما بقيت البنت المسكينة المظلومة في بيت ابيها ذلك الوحش

الضاري وهو لا يرضى لها الا برجل يعجبه وهيهات ان يرى من هو على شكله تماماً وعلى رأيه وفكره تماماً . حتى لقد ادت الحالة ببعضهم ان لا يزوجوا بناتهم لرجل صغير في السن لا يتجاوز الثلاثين ادعاء انه لم يزل في غمرة الشباب ومنهم من لا يقبل زواج الفتاة لان الرجل لا يلبس لباساً مثل لباسه هو او لانه من النشأة الجديدة التي لا تصوم ولا تصلي . او لانه يعرف لغات الاجانب فيضر البنت ويخرجها عن دينها او لانه يطلب الالف واكثر من الجنيهات مهر الابنة وهو وابنته وبيته لا يساوون الف بارة

وجناية الرجل على الفتاة ما زالت تنتقل بالعدوى من البسطاء حتى تفشت جراثيمها في العائلات الكبرى بالعاصمة وغيرها فانك لا تخطب البنت وتكاد تتزوج بها حتى يقلبوا لك ظهر المجن ويظهروا لك التعب والمشقة الواناً وبعد الزفاف قلما استراحت منك يوماً او استرحت منها لحظة واسباب ذلك اهل الفتاة وجهلها وسوء تربيتها

اما الفتاة فانها تتمنى قبل كل شيء في الدنيا ان يرزقها الله زوجاً ثم غنياً ثم له رتبة او رئاسة ولو شيخ بلدة او عزبة وبمصر كثيراً ما رأينا سيدات من أولئك الفتيات من اكبر البيوت واشرف الاسر وهن ما برحن يتمنين الخروج من بيت آبائهن بالزواج ولو برجل بسيط فقط حسن المنظر والهندام لطيف الظاهر فقسنا الفرق بين شابة هذا حالها وفكرها وبين اخرى تطلب ضد ذلك فرأينا العيب على الام اولاً والاب ثانياً

فاما ذنب الام فلانها اعطت الفتاة حرية مطلقة في الكلام والبحث بغير سبب ولا داع مع النساء الخارجات عن التربية وحدود الآداب وتصريحها لها بالخروج دائماً الى الاسواق بغير عمل او لزيارة الجيران والصاحبات

والحبيبات وكلهن غاية في الدناءة وقلة الفهم وسوء التربية . ولانها لم تسمع بنتها يوماً ما غير عبارات المدح والثناء على الزوج والزواج خصوصاً عندما تمزح مع صاحباتها فتظهر للبنت رشاقة ولطافة الزوج وتحسن في عينيها جمال الرجل الظاهر وتقبح الذميم فضلاً عن انها لا تعلمها من امور البيت غير حسن التبختر في السير والزخرفة والتزين والتزجيج الى غير ذلك . وبما ان الفتاة الصغيرة تري من امها مثل ذلك ولاسيما اذا كان هناك عرس او ما اشبه فالام لا تفتأ تنهد وتتحسر وتتأسف على كل نعمة تقع في قلبها من المغنى او آلات الطرب ويسوقها على ذلك ما يفعل بها بعض ما تشربه ولا حول ولا قوة الا بالله

ولا اقوى ان اتكلم بمثل ذلك اذ التحسر يسكتني والاسف يقيد اصابعي فيوقف فيها القلم ولكن هذا بحث يجب ان يتم بكل اطرافه

ذلك شأن المصريات المسلمات الا القليل في المعاملة مع بناتهن فهن اذن السبب الاول في فساد اخلاق الفتيات بغير نزاع

اما سبب فساد اخلاق الرجل المتزوج فمن المرأة ايضاً والامر لا يحتاج لبرهان اذ الذكاء فيها فطري والحيلة عندها طبيعية وهذان الامران لا بدان يقترن بهما رذيلتان حيث انهما وسط لرذيلة وفضيلة فاما ما ينتج منهما من المساوئ فالكذب وهو سلاح المرأة

ومن الغريب ان كذبهم يكاد ان يكون صدقا لشدة سبكه فاما الذكاء في المرأة فقد اودعها اياه الله لتقدر به ان تميز بين النافع والضار وتقيس الامور التي لم تمارسها ممارسة الرجال وليس ببعيد ان ياتي الزمن الذي تسابق فيه المرأة الرجل بقولها وعملها وتكون الفائزة عليه . واما الحيلة فهي متولدة

من ذاك الذكاء الخارق للعادة ولو ان المرأة تستعمل الحيلة الحسنة وتترك القبيحة لكانت الحال في الزواج احسن بكثير مما نرى بل لم يكن من محل لشكوى الرجل من المرأة على الاطلاق . والذنب كل الذنب للمرأة من حيث هي القادرة الوحيدة على تغيير طباع الرجل وتعويده عادات غير عاداته الاصلية فالرجل ما خلق الا منفذاً لاغراض المرأة من طيب ورديء ولكنه لا يعلم بل يظن انه القادر المتسلط عليها وهذا طيش وحمق يبنى له اعتقاده الاول الثابت في رأسه ان المرأة اضعف من الرجل في كل شيء على العموم وجرى معه هذا الاعتقاد حتى انساه انها تستعبده استعباداً وتسترقه استرقاقا وماهو في الحقيقة غير عجينة في يديها تجعلها على اي شكل تريد فلولا هذا لما خانته المرأة في شيء من اموره ولا جعلته اقل تبصراً في العواقب منها وهو لا يدري فمثلاً لو كانت المرأة في الاسلام تريد الطلاق من رجل ولا تطيق البقاء معه لبغضها له وعملت كل الطرق فلم تنجح فلربما ساقها خداعها الى ارتكاب منكر مثلاً لتتخلص من ذلك الزواج وهي بذلك لا تود الخلاص فقط بل لتوقعه في مصيبة عظمى وبلية كبرى اقل ما فيها خدش شرفه وهي التي تخرج من الحرب منصورة مشرفة . هذا اذا طلقها بالمعروف واما ان طاشت برأسه الاوهام والخيالات وارتكب جناية فقد لا يخلو من محاكمة وسجن وهم وربما باعدام وتتم بذلك آخر فصول روايته التي ما حوت غير الطيش والغرور

والرجل العاقل عليه اذا لم يجد في امرأته ما لا يوافقه من اخلاقها وطباعها فانه يفهمها خطأها وصوابه بشاشة ولطف وان يدافع عن احساساتها ولا يجرح عواطفها ويحافظ على حقوقها حتى تكون هي بذلك اسيرة له لا العكس . ولو علم الجنسان ما هي الفائدة من الزواج لما اختار كلاهما غير من

يريحه ويحبه ويتفانى في ارضائه ويقدس واجباته ومصالحه ويهتم باموره الدنيوية فان المرأة اولى بالمؤانسة والمجالسة من ذلك الصديق وهذا الصاحب الذي ربما ضر ولم ينفع

ولو انصف الفتيات لاقلعن عن هذا الغرور القائم بافكارهن وانتخبن لانفسهن ازواجاً ممن حسنت سيرتهم وسيرهم وكانوا في درجة توهلهم لقضاء ضروريات الحياة . ولقد يحسن بالطالبة الغنى ان تقتصد من دخل الزوج بقدر ما يمكن بحيث لا تسرف ولا تقتر ولا ريب ان الثروة لا تأتي الابقلة الانفاق او بالانفاق في موضعه وعند لزومه

يغتر الفتيات بالافندي والبك والباشا كما يغتر بعض التجار ببطاقات الزيارة فتضيع اموال تجارتهم على هؤلاء البكوات والبشاوات ولا يجنون من تلك الالقاب والرتب العالية غير التفليس والمحاكمة . وكم من بك وباشا اضاع ثروته وبدد امواله واموال ابيه وامه وزوجته واهل زوجته واستعمل النصب والاحتيال يمشي على اقدامه من العاصمة الى اي الثغور حيث لا يجد اجرة القطار والنفس لا يستصغرها بمديد السؤال . وقد كان لا يدخل في غرفة من غرف داره الا بمركبة ولا يصعد سلم بيته الا محمولاً اما على الاعناق او على الرؤوس ولقد قضى الله على هؤلاء بالبخس وسوء المصير والايام دول وما اصلح الناس مثل الاستقامة ولا افاد الامم غير وضع الشيء في موضعه

حديث الانيس

ذكر احد الباحثين ان الاسبانيين من اكثر شعوب الارض استعمالاً للقسم والحلف في احاديثهم حتى انه لا تكاد تخلو لهم عبارة او مخاطبة من استعمال القسم ولذلك صارت بينهم عادة شائعة حتى ان الام تخاطب اولادها وتحلف لهم لكي يصدقوها وكذلك المعلم فانه يحلف لتلاميذه والمخدوم لخادمه والامرأة لزوجها . ثم ذكر بعدها كثيراً من الامم التي لا يطيب لها حديث بغير الحلف ولكنه لم يذكر الامة العربية والمصرية منها بالخصوص فان الحلف عندنا شائع الى درجة ربما نكون فيها اولى بالتخصيص من الاسبانيول لان الاطفال عندنا يحلفون ويكون ذلك اول كلام استطاعوا النطق به وتعلمه من اهلهم ولهذا لا تكاد تخلو في الشرق عبارة من ذكر الله والنبي وعيسى والصليب ومريم وسائر الاولياء والقديسين وهذا ولا شك وارد من عدم اعتياد الصدق حتى صارت الاخبار لا تصدق الا بالحلف والغريب انه مع شيوع الحلف الكاذب او الصادر دون تمعن وارادة تامة فان قضاتنا لا يزالون يعتبرون الحلف مثبتاً للشهادة مع ان ذلك يجب ان يتبدل بغيره كأن يؤمر الشاهد بان يحلف بامه او ابيه دون الله تعالى لانه عندئذ يتنبه الى وقع القسم واما حلفه بالله فما يكذبه الف مرة كل يوم بقصد وبغير قصد . ولعل هذه العادة قد نشأت مع التمدن العربي الجديد لان الجاهلية ربما كانوا اقل استعمالا الاقسام بمعبوداتهم لان الصدق كان من غرائزهم كما نقلنا عنهم في الفصل المعنون بالمدنية ومكارم الاخلاق

* * *